المطالعة الموجهة

محمد الرئيس
(عباس محمود العقاد)

تقديم النص

المسؤولية تكليف لا تشريف يستحقها خادم لا مخدوم، وإن المسؤول الجدير بالمسؤولية هو ذلك الذي يفكر في مرؤوسيه ويعمد إلى معايشة الظروف التي يعيشونها، فيكون تصرفه معهم تصرفا سليما وتلقى آثار أحكامه عليهم القبول الحسن، وهذا ما يسعى الكاتب في النص الآتي إلى تبيانه من خلال حديثه عن جانب من سيرة الرسول (ص) مع رعيته.

النص

... جعل للرئاسة معنى الصداقة المختارة، فمحمد الرئيس هو الصديق الأكبر لمرؤوسيه، مع استطاعته أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان. فهناك الحكم بسلطان الدنيا. وهناك الحكم بسلطان الآخرة. و هناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة. و كل أولئك كان لمحمد الحق الأول فيه: كان له من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين في رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذي يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون... و كان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه أكفأ كفء وأوقر مهيب. ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر بسلطان الصديق الأكبر، بسلطان الحب والرضا والاختيار.

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال، وكان حب التابعين شرطا عنده من شروط الإمامة في الحكم بل في العبادة. فالإمام المكروه لا ترضى له صلاة وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه. فرُوي أنه كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل: يا رسول الله: عليّ ذبحها. و قال آخر: عليّ سلخها. وقال آخر عليّ طبخها... فقال عليه السلام: وعليّ جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل. قال: علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه».

البوابة التعليمية الجزائرية

وأبى والمسلمون يعملون في حفر الخندق حول المدينة، إلا أن يعمل معهم بيديه، ولولا أنها سنة حميدة يستنها للرؤساء في حمل التكاليف لأعفى نفسه من ذلك العمل وأعفاه المسلمون منه شاكرين.

وقد كان أعلم الناس أن الأعمال بالنيات؛ ولكنه علم كذلك « أن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » فوكل الضمائر إلى أصحابها وإلى الله، وحاسب الناس بما يجدي فيه الحساب.

سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم قائلا: إنما أنا بشر و أنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها ».

واليوم، يكثر اللاغطون بحرية الفكر و يحسبونها كشفا من كشوف الثورة الفرنسية وما بعدها، ويحرمون على الحاكم أن يؤاخذ الناس بما فكروا به ما لم يتكلموا أو يعملوا أو يكن في كلامهم وعملهم ما يخالف الشريعة.

فهذا الذي يحسبونه كشفا من كشوف العصر الأخير قد جرى عليه حكم النبي قبل أربعة عشر قرنا، و شرعه لأمته في أحاديثه حيث قال عليه السلام: « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به ».

وزعموا كذلك أن تقديم الرحمة على العدل في تطبيق الشريعة دعوة من دعوات المصلحين المحدثين لم يسبقوا إليها، و هي دعوة النبي العربي التي كررها ولم يدع قط إلى غيرها فقال: « إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي »، وقال: « إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف »، وقال: « إن الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا ».

وروى عنه غير صاحب من أصحابه أنه ما خير بين حُكمين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن فيه خرق للدين.

البوابة التعليمية الجزائرية